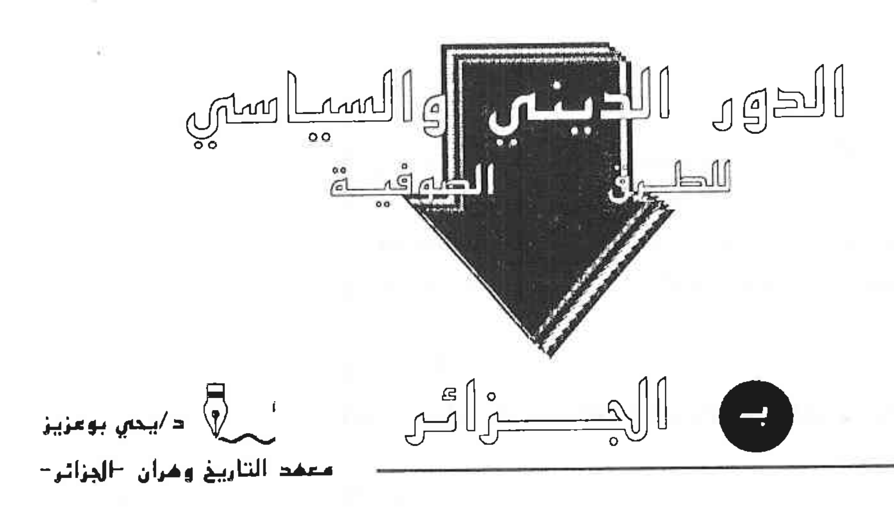
عاشور القاهرة، 1973م.
22 – موير وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمد عابدي وسليم حسن، مصر 1924م.
23 – اليعقوبي، أحمود بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت 1970م.
24 – اليوسفس، موسى بن محمد، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق احمد حطيط، بيروت 1986م.
25 – القلقشندي، ابو العباس أحمد، كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، دار الكتب المصرية 1914-1919م.
26 – الرشيدي، سالم، محمد الفاتح، بيروت 1969م.
27 – ابن الفرات، ناصر الدين محمد، تاريخ ابن الفرات، تحقيق أسد رستم وقسطنطين زريق ونجلاء عزالدين بيروت 1942م.
28 – ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1988م.
29 – شيخ الاسلام ابن تيمية، الخلافة والملك، تحقيق حماد سلامة، الجزائر، (بدون).



د/يحي بوعزيز
معهد التاريخ وهران -الجزائر-

انتقال التصوف من المشرق الى المغرب

ظهر التصوف وحياة الزهد والتقشف في بلدان المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري(8م) على يد رابعة العدوية (714-801م)، وأبي يزيد طيفور البسطامي الفارسي (توفي عام 160هـ/874م)، وأبي القاسم الجنيد الخراز أو الزجاج العراقي (ت عام297هـ/910م)، وأبي المغيث الحسين الحلاج البيضاوي (243هـ/310هـ/-922 858م)، في القرن الثالث الهجري (9م). وأبي حامد الغزالي (450-504هـ/-1111 1059م)، وعبد القادر الجيلاني (479-563هـ/1087-1167م)، في القرنين الخامس والسادس الهجريين(11و12م)، ومحي الدين بن العربي الأندلسي، (-637 560هـ/1165-1240م)، وعمر بن الفارض(575-631هـ/1180-1234م) وجلال الدين الرومي(603-672هـ/1207-1273م)، في القرن السابع الهجري(13م).

وكانت هناك ظروف كثيرة ساعدت على ظهور هذه الحركة التصوفية، وحياة الزهد والتقشف ببلدان المشرق الاسلامي في وقت مبكر من صدر الاسلام، من ضمنها : تغير حياة الخلفاء، والأمراء، والسلاطين، من البساطة الى التعقيد، والترف، والبذخ، واختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب التي اشتهرت بهذه الظاهرة. كالفرس، والهنود، والصينيين.

ومن المشرق الاسلامي، انتقل التصوف الى بلدان المغرب الإسلامي، والأندلس، وانتقلت معه حياة الزهد، والتقشف، وازدهرت في الرباطات والمساجد، والزوايا، وبرز اقطاب للتصوف حمل أغلبهم لقب "الغوث" من أبرزهم : أبو مدين شعيب بن الحسين دفين تلمسان عام 595هـ (1198م). وأبو الحسن الشاذلي (592-668ه/1196-1258م). وعبد

السلام بن مشيش المتوفى عام 626هـ (1228م). وأحمد رزوق البرنوسي المتوفى عام 899هـ (1493م).

اقطاب التصوف في الجزائر

وورث التصوف في الجزائر شيوخ عديدون أصبح الكثير منهم أقطابا، وزعماء مدارس صوفية، من ابرزهم : أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة عام 927هـ (1520هـ)، ومحمد أفغول، ومحمد بن شاعة، ومحمد التواتي البجائي، ومحمد بن عمر الهواري، وتلميذه ابراهيم اللنتي التازي، وأحمد بن عبدالله، ومحمد بن يوسف بن شعيب السنوسي، وعبد الرحمن الثعالبي.

وقد كثرت الزوايا، وانتشرت الطرق الصوفية بالجزائر في العصر الحديث، بصورة خاصة، وقوي نفوذها الديني، وتأثيرها الثقافي والاجتماعي، والسياسي، لأن العثمانيين الذين كانوا يحكمون البلاد، سبق لهم أن خضعوا لتأثير الطرق الصوفية بآسيا الصغرى قبل أن يصلوا الى الجزائر، ومن أبرزها :

1 – الطريقة البكداشية بزعامة الحاج بكداش بإصطمبول التي استقطبت من سموا بالدراويش خلال القرن 7هـ (13م)، وهم المجاهدون الذين كانوا أهم أداة للفتوحات الإسلامية العثمانية بشرق أوروبا في القرن العاشر الهجري (16م) على عهد الشيخ شلبي، والسلطان سليمان القانوني، وكان لها نفوذ يكاد يكون مطلقا على أفراد الجيش العثماني الجديد الذي يعرف بالجيش الإنكشاري.

2 – الطريقة المولوية بزعامة جلال الدين الرومي وخليفته من بعده الشيخ شلبي خلال القرن الثالث عشر الميلادي.

3 – الطريقة النقشبندية بزعامة الشيخ بهاء الدين محمد البخاري 1317-1389م) المدعو نقشبند خلال القرن 14م.

4 – الطريقة القادرية بزعامة خلفاء عبدالقادر الجيلاني البغدادي (1078-1167م). الذين كثروا في الجزائر وكل بلدان المغرب.

المدارس الصوفية بالجزائر

وهكذا ظهرت بالجزائر مجموعة من المدارس الصوفية في عدد من المدن الكبرى

الحضرية والريفية، ابتداءا من القرن الثامن الهجري (14م) واستقطب معظم الشرائح الاجتماعية في المدن والأرياف، ومن ابرزها :

1 – مدرسة بجاية بزعامة الشيخ ابن ادريس المتوفى عام 760هـ (1359م) وتلميذه من بعده عبدالرحمن الوغليسي صاحب منظومة الوغليسية في الفقه المتوفى عام 786هـ (1384م)، ثم الشيخ سيدي التواني الذي بقيت زاويته قائمة حتى عام 1228هـ (1813م).

2 – مدرسة قسنطينة بزعامة الشيخ أبي الحسن على بن باديس خلال القرنين : الثامن الهجري (701-787هـ) والرابع عشر الميلادي (1301-1384هـ) صاحب المنظومة السينية التي تعرف كذلك بالنفحات القدسية التي نظمها في مدح الشيخ عيدالقادر الجيلاني ومطلعها :

ألاسر الى بغداد فهي منى النفس وحدث بها عمن ثوى باطن الرمس.

3 – مدرسة مدينة الجزائر بزعامة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي (-875 786هـ/1384-1470م) الذي له عدة منظومات صوفية، وتفسير للقرآن الكريم.

4 – مدرسة تلمسان بزعامة الشيخ محمد بن يوسف بن شعيب السنوسي المتوفى عام 895هـ (1490م). ومن تلاميذه أحمد زروق الذي توفي بمسراته قرب طرابلس الليبية عام 899هـ (1493م:9

5 – مدرسة وهران بزعامة الشيخ محمد بن عمر الهواري المتوفى عام 843هـ (1439م)، وتلميذه ابراهيم اللنتي التازي صاحب منظومة المرادية –المتوفى عام 866هـ (1462م).

6 – مدرسة مازونة ومجاجة بزعامة الشيخ محمد بن علي ابهلول المجاجي المتوفى عام 1002هـ (1593م).

7 – مدرسة ندرومة بزعامة الشيخ يوسف الندرومي صاحب كتاب : الأنوار وجامع الأسرار.

انواع الطرق الصوفية في الجزائر :

تنقسم الطرق الصوفية بالجزائر الى نوعين اثنين أساسيين وبارزين :

النوع الأول : خلواتي، يدعي شيوخها المعرفة باسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يدعون بالمريدين أو الأخوان أو الفقراء، حسب اختلاف الطرق، والجهات والمناطق. فيفرضون عليهم أذكار خاصة يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة، لمدة معينة حتى يفتح الله عليهم. ومن ضمنها : الأسم الأعظم "الله"، ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين. وبعد ذلك يفرضون عليهم إذكارا خاصة تدعى "الورد" بكسر الواو، وسكون الراء، يتلونها يوميا بصورة فردية، أو جماعية حسب الظروف. بعد صلوات : الصبح، والمغرب، والعشاء، وأحيانا حتى بعد صلاة الظهر والعصر.

وهذه الظاهرة، ظاهرة الخلوة، والورد، هي التي استوجبت تسمية شيوخ هذه الطرق الخلوتية، بالطرقيين، لأن كل واحد منه له طريقة خاصة- في السلوك والأذكار، وفي تلاوتها. وله ورد معين كذلك. وعلى سبيل المثال : ذكر الاسم الأعظم "الله" في الخلوات الخاصة والحضرة الجماعية، لدى الرحمانيين، والعلويين الذين هم فرع من الشاذلية. وحلقة البنذير، لدى العيسوية، والعمارية التي هي فرع منها.

وعندما يكون شيخ الطريقة غنيا، وزاويته ميسورة الحال ماديا، بفضل أموال الزيارات، والهدايا، ومردود الأوقاف المحبسة عليها، يتم إيواء، وترتيب، واعتماد، التلاميذ، والطلبة، في الزاوية، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم مواد اللغة العربية. وعلوم الشريعة كالفقه، والحديث، والأصول، والتوحيد، والتاريخ، والمنطق، وما الى ذلك. ويقوم الشيخ نفسه بمهمة التعليم اذا كان من المثقفين، أو يوظف بعض العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والمدرسين وحفاظ القرآن الكريم، ليقوموا بذلك ويحمل نوابه ألقاب : المقدم، أو الوكيل، أو الرقيب أو الخليفة، حسب أعراف الجهة.

النوع الثاني : غير خلواتي، ولا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة، ولكن يتخذون لأنفسهم واتباعهم وردا معينا من الأذكار والصلوات، يتلونها وراء الصلوات، ويتصدون لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار، وتعليم بعض العلوم الدينية، واللغوية، إما بأنفسهم، إن كانوا مثقفين، أو بواسطة حفاظ القرآن الكريم، وبعض المثقفين من اتباعهم ومريدهم.

ومن هذا النوع : التيجانية التي تفرض على اتباعها ذكر وتلاوة ما يعرف بالهيللة، وهو

ترديد كلمة : لا إله إلا الله عدة مئات من المرات.

وكلا النوعين من الطرق، والزوايا، لعبت دورا هاما ورائدا في التعليم القرآني، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، ومحو الأمية والجهل، في مختلف الأوساط.

- والطرق الصوفية بالجزائر بعضها فروع لطرق أخرى خارج الجزائر، والبعض الآخر أصلي ومحلي، اتخذت لنفسها فروعا كثيرة داخل الجزائر وخارجها.

وقد ذكر الضابط رين للشاذلية وحدها واحدا وعشرين فرعا بالجزائر.

فالتيجانية مثلا لها فروع في معظم بلدان القارة الإفريقية، والحجاز وبعض البلدان الأوروبية والأمريكية.

وكذلك الأمر بالنسبة للسنوسية، والرحمانية، والعلوية التي لها فروع في تونس، والمغرب الأقصى، ومصر والحجاز، وفرنسا، وانجلترا.

ومن مقاديم الطريقة العلوية المستغانمية بكار ديف في انجلترا، خلال منتصف القرن الحالي ، المرحوم الشيخ عبدالله علي الحكيمي، اليمني، الذي كانت له زاوية واتباع كثيرون، وجريدة ناطقة بإسمه تحمل إسم : السلام. وكان متعاطفا مع عالم الجزائر الكبير المرحوم الشيخ الفضيل الورتلاني، في أزمة مقتل سيف الاسلام ملك اليمن الامام يحي أواخر عقد الأربعينات من هذا القرن، وقد بقي قرابة ستة شهور على ظهر مركب انجليزي بسبب رفض كل البلدان العربية استقباله، ومنحه حق اللجوء السياسي، حتى قامت ثورة 23 يوليو 1952 المصرية، حيث احتضنه الاخوان المسلمون، وفتحوا اذرعتهم وصدورهم له.

فكان الشيخ الحكيمي اليمني العلوي يتتبع أخباره، وينشرها في جريدة السلام، ويدافع عنه وعن مواقفه. ومن ضمن عناوين جريدته آنذاك التي اتذكرها اليوم : الشيخ الفضيل الورتلاني طريد البلاد العربية. وبالطبع فان الحكيمي كان ضد الإمام يحي، وضد نظام حكمه، ولذلك اتخذ هذا الموقف، وقد التقيت به خلال احدى زيارته للجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، لأنه كان صديقا لوالدي الحاج عبدالرحمن بوعزيز. وزارنا الى منزلنا في الجعافرة.

ومما تجدر ملاحظته هنا هو أن البعض من شيوخ الطرق الصوفية قديما وحديثا،

وعددهم ليس بالقليل. ثقافتهم محدودة، بما يفرضونه عليهم من الأوراد، والأذكار، والتسابيح. واستفادوا من كبار العلماء والمثقفين اتباعهم في كتابة، وتأليف كتب دينية في الزهد، والتصوف، وبعض أبواب الفقه، وتفسير القرآن الكريم، بأسمائهم، وعلى لسانهم.

ومن أمثلة ذلك : الشيخ محمد بن عمر الهواري بوهران، وتلميذه ابراهيم التازي، والشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد في صدوق، وابن علي الشريف في يلوله بشلاطة، والشيخ بلحملاوي في العثمانية، والشيخ أحمد بن عليوة في مستغانم.

أشهر الطرق الصوفية بالجزائر

ومن أشهر الطرق الصوفية في الجزائر حسب تاريخ ظهورها :

1 - الشاذلية : 658هـ/1258م.

2 - العيساوية : 936هـ/1529م.

3 - الكرزازية + الأحمدية : 1016هـ/1607م.

4 - الشيخية : 1026هـ/1617م.

5 - الطيبية : 1089هـ/1678م.

6 - الحنصالية : 1114هـ/1702م.

7 - القادرية : 1125هـ/1714م.

8 - الزيانية -القندوسية : 1196هـ/1791م.

9 - الرحمانية : 1208هـ/1793م.

10 - السنوسية : 1250هـ/1834.

وكلها لها فروع في مختلف انحاء البلاد، وبقيت حتى استعادة الاستقلال الوطني، وما يزال لها ذكر. ونشاط محدود حتى اليوم، واتباع ومريدون، وأنصار. ولكن التطورات الحديثة بايديولوجياتها ومفاهيمها الجديدة ذات الصبغة المادية فرضت عليها الانكماش، والتقوقع كما سنعرف فيما بعد.

الدور الديني والسياسي لهذه الطرق الصوفية

لعبت الطرق الصوفية وزواياها في الجزائر وكل بلدان المغرب الاسلامي أدوارا مهمة

في الحياة الدينية، والثقافية، والاجتماعية، وفي الحياة السياسية كذلك، أغلبها ايجابي، والباقي سلبي.

فمن الناحية الايجابية :

أولا : اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار، والكبار، ونشرته بصورة مكثفة، ومتواصلة في الأجيال الاسلامية المتعاقبة. وساعد ذلك على محو أمية الحرف، من جهة، وحماية القرآن الكريم من النسيان، والضياع والاندثار من جهة أخرى. فكان أغلب الناس كبارا وصغارا يحفظونه كله، أو جله، أو بعض أجزائه، عن ظهر قلب على عكس ما هو حاصل اليوم. وكان معظم الناس في القرى والمداشر في الأرياف وفي المدن يحفظونه، ويطبقون تعاليمه الدينية، والمادية، خاصة ما يتعلق بالسلوك والأخلاق العامة الشخصية والجماعية.

ثانيـا : احتضنت اللغة والثقافة العربية الاسلامية وانفقت بسخاء على تعليمهما وتدريسهما، ونشرهما في كل أوساط المجتمع. وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة في أوسع مجالاتهما، وخرجت أجيالا من العلماء الكبار، والفقهاء المبرزين، والقضاة، وكبار المفكرين، كان لهم دورهم الرائد في التطور الفكري والثقافي، وتواصلهما حتى في الحقبة الاستعمارية البغيضة (1830-1962).

ثالثهـا : عملت على نشر الاسلام في المواطن والأصقاع البعيدة التي لم يكن قد وصل اليها، أو وصل اليها وتعرض لأزمة وردة، ومقاومة، خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، والأدغال الاستوائية، كما فعلت، وتفعل حتى اليوم، التيجانية، والسنوسية والقادرية.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الطرق الصوفية لها تأثير كبير على الحاكمين والمحكومين معا. فالحاكمون يتجنبون الاصطدام بها، ويقدمون لها كل ما تطلب لأنهم يتخوفون من أن تسلط عليهم طبقة العامة التي تطيعها الطاعة العمياء، وتنقادها ولا تخاف رأيها أبدا الاّ في الأحوال والظروف الشاذة والمحدودة. والمحكومون يكنون لهذه الطرق الصوفية وقادتها نوعا من القداسة المستمدة من الدين الذي يعتبرون ممثلين له. وناشرين ودعاة. ولا ينبغي معارضتهم أو مخالفتهم. لأن ذلك يعني معارضة الدين، حسب اعتقادهم

طبعا.

رابعا : عملت على ازالة الفوارق الاجتماعية، والاقتصادية بين الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة. فقربت بين الفقراء والأغنياء، والعلماء والأميين. والشرفاء وغيرهم. وصهرتهم جميعا في بوتقة واحدة. وألفت بينهم جميعا في اطار مفهوم الآية القرآنية الكريمة : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". ومفهوم الأحاديث النبوية الكريمة : "المسلمون كأسنان المشط". و "لا فرق لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى".

وهذا الجانب له أهمية كبيرة في تاريخ الطرق الصوفية، وزواياها الدينية في الجزائر.

خامسا : لعبت دورا هاما ورائدا في إنهاء الخلافات والخصومات بين الناس، أفرادا، وجماعات، وذلك بفضل مكانة شيوخها، ومقدميهم، ووكلائهم فمثلت دور الحكم، وقللت من الخلافات والمشاكل بين الناس. وبذلك تمتع المجتمع الجزائري بالاستقرار النفسي والخلقي، واتخذ من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة له، بدلا من الحكام المدنيين وقضاتهم الرسميين، الذين قد لا يشبعون رغبتهم ولا يرتاحون لسلوكهم، وأحكامهم.

سادسا : كانت زوايا الطرق الصوفية بمثابة مخازن، ودواوين للكتب، والمخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم والفنون، والمعارف، وذلك بفضل اهتمام شيوخها، وطلابها بالعلم والتعليم، والنقل والنسخ للكتب، والتأليف والجمع والشراء. وما الى ذلك من وسائل الاقتناء للكتب غير أن أغلب ما بها من هذا التراث، تسرب الى البلدان الأوروبية خلال السيطرة الاستعمارية، وتعرض جزء هام منه للضياع والتلف العفوي، والمقصود خلال حروب المقاومة المسلحة والطويلة منذ 1830 الى 1962م. وكان ذلك خسارة كبرى لتراث هذا البلد الفكري العلمي، والأدبي والفني.

سابعا : شاركت الطرق الصوفية مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية والوطنية أو الاستعمارية الأجنبية.

فالدرقاوية الشاذلية، والشابية، والتيجانية، قاومت الولاة العثمانيين المستبدين في شرق البلاد وغربها، وجنوبها الشرقي قبل عام 1830م.

والرحمانية والسنوسية والقادرية حاربت الاستعمار الفرنسي والانجليزي في الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، ومظم بلدان غرب افريقيا ووسطها. وتصدى زعماؤها وجماهير

اتباعها للمقاومة طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، سواء وحدهم أو مع الزعماء السياسيين والعسكريين.

وكنموذج على ذلك في عهد الأتراك العثمانيين :

1 - ثورة الشيخ أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ضد الداي حسن باشا بالجزائر، وباي الغرب الوهراني محمد بن عثمان الكبير أواخر القرن 18م. وكان من نتائجها رحيل أحمد التيجاني الى فاس في 17 ربيع الأول 1213هـ (1798/8/29م)، وترحيب السلطان محمد بن عبدالله به وتخصيصه جراية له ولمن معه من الاتباع، ودار للسكني في حوش المرايات.

2 - ثورة عبدالقادر بن الشريف الكاساني، الفليتي الدرقاوي ضد بايات بايليك الغرب عام 1217هـ (1802م) واستمرارها عشر سنوات كاملة. ومن أشهر معاركها معركة فرطاسة عام 1804، (ربيع الأول 1219هـ). وقد أحدثت هذه الثورة خرابا في المنطقة واضطرابا كبيرا سياسيا، واقتصاديا واجتماعيا، وعسكريا في الدولة، والبلاد كلها. وفي هذه الثورة ألف أبوراس الناصر رسالته : درء الشقاوة في أخبار الدرقاوة.

3 - ثورة الحاج محمد بن الأحرش الدرقاوي ببايليك الشرق قسنطينة عام 1803م، الذي تمكن من قتل الباي عثمان في معركة واد زهور شمال قسنطينة عام 1805م.

4 - ثورة الشيخ محمد الكبير التيجاني ضد باي الغرب حسن بن موسى عام 1827م (1242هـ). ومقتله في معركة عواجة بعين البيضاء في مدينة معسكر.

وفي عهد الاحتلال الفرنسي :

1 - ثورة الأمير عبدالقادر القادري (1832-1847م).

2 - ثورة الحاج موسى الأغواطي الدرقاوي في التيطري عام 1835م.

3 - ثورة الشريف محمد بن عبدالله بومعزة بجبال الونشريس وأولاد نايل 1847-1845م.

4 - ثورة الشيخ أحمد بوزيان القادري في واحة الزعاطشة عام 1849م.

5 - ثورة الحاج عمر الرحماني، ومولاي إبراهيم في جبال جرجرة 1850-1857م.

6 - ثورة الشيخ الصادق بلحاج الرحماني في الخنقة وبسكرة 1858-1860م.

7 - ثورة الشريف محمد بن عبدالله السنوسي في ورقلة وتقرت 1852-1861م.

8 - ثورة أولاد الشيخ الطيبيين بالغرب الوهراني 1864-1881.

9 - ثورة سي الأزرق بلحاج الطيبي في فليتة عام 1864.

10 - ثورة الشيخ الحداد، وابنيه : عزيز، ومحمد، ومقدمية الرحمانيين عام 1871م في جبال جرجرة، والبابورة، والهضاب العليا القسنطينية.

11 - ثورة الشيخ محمد يحي الرحماني في واحة العمرى عام 1876م.

12 - ثورة الشيخ محمد أمزيان بن عبدالرحمان في الأراس عام 1879م.

13 - ثورة الشيخ بوعمامة الطيبي بالجنوب الوهراني عام 1881-1883م.

إن هذه القائمة من الثورات والانتفاضات والتمردات تثبت وتؤكد الدور السياسي الذي كان للطرق الصوفية في هذه البلاد، والمكانة التي كانت لها في أوساط القاعدة الشعبية ولدى الطبقة الحاكمة، كما تثبت مدى قدرتها على تغيير الأوضاع، وارغام السلطة على الإنقياد لأرائها وتوجهاتها بفضل المكانة الدينية الواسعة التي كانت تتمتع بها، ويقرها لها المجتمع المؤمن المسلم، وتسلم بها لها الطبقة الحاكمة حتى ولو اختلفت معها في معالجة القضايا والأحداث.

ثامنـا : بذلت الطرق الصوفية جهودا كبيرة وجبارة خلال الحقبة الاستعمارية في مقاومة سياسة الفرنسة والتنصير، والكثلكة التي سنتها الادارة الاستعمارية، وعملت على حماية الشخصية الاسلامية، والوجه العربي الاسلامي للجزائر وشعبها. وذلك بمختلف الأساليب والوسائل والامكانات، وفي كل الظروف والإوقات. وكان ذلك خيرا وبركة على البلاد وشعبها المتمسك بإسلامه وعروبته، وثقافته العربية الاسلامية الأصيلة والخالدة. وقد استوى في هذا المعارضون للادارة الفرنسية، والموالون لها. لأن الفرنسة والتنصير تمسهم جميعا وتنال من كرامة شعبهم الدينية والعقائدية، وهو أمر لا يتسامحون فيه جميعا.

ومـن الناحية السلبية :

أولا : اتبعت هذه الطرق الصوفية في زواياها، أساليب، ومناهج عتيقة، ومختلفة،

تجاوزها الزمن، خاصة في الحقبة الاستعمارية. ولذلك سادها التخلف الذهني، والركود، والتوقع. وبالغ الاتباع والمريدون في تقديس شيوخ الطرق الصوفية لدرجة تجاوزت الحد، والمعقول، ووصلت الى حد تفضيلهم على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أمر غير مقبول طبعا.

ثانيـا : انتشرت بين اتباعها الدروشة والخرافات، والأباطيل، والبدع، بسبب ضيق أفقهم الفكري، وعجزهم عن مسايرة التطورات القائمة والحركات الاصلاحية التي ظهرت في بعض بلدان المشرق الاسلامي، حتى ولو لم تكن في المستوى المطلوب. وبالطبع فإن عزل الجزائر عن العالم العربي الاسلامي من طرف الاستعمار الفرنسي له دور في هذا التخلف والتحجر.

ثالثـا : احتدت الخلافات بين بعض شيوخ الطرق الصوفية حول بعض القضايا الهامشية كالقبض في الصلاة والجهر بالبسملة، وقراءتها، وكان ذلك سببا في قيام مشاحنات، وحزازات بين الأتباع. وكان للإدارة الإستعمارية دور بارز في اذكاء تلك الخصومات والحزازات، والخلافات، وترويجها.

رابعـا : استسلم في القرن العشرين معظم زعماء وشيوخ الطرق الصوفية، للإدارة الاستعمارية، بعد أن أصابهم العياء والوهن، والتعب، وتعاونوا معها، وخدموها لأسباب ودوافع مختلفة ومتنوعة : البعض للتقية، والبعض للحصول على الجاه، أو المنصب، أو السلطة والنفوذ، وهناك من التزم الحياد تماما، وابتعد عن السياسة ليتمكن من مواصلة النشاط الديني، والثقافي، والتربوي. وقد وقفوا ضد حركة الاصلاح كذلك.

لقد حارب الاستعمار الفرنسي شيوخ الطرق الصوفية المعارضين له، محاربة شديدة في القرن الماضي والحالي، وعرقل نشاطهم الديني والثقافي والتربوي. وفرض عليهم وعلى اتباعهم مراقبة شديدة ودائمة، ومستمرة، ونفي الكثير منهم، وشردهم داخل البلاد وخارجها. وارغم البعض منهم على ممارسة الجوسسة لصالح أجهزة الشرطة الاستعمارية. وصادر أملاك مؤسساتهم الدينية والثقافية التي تدر عليها الأموال اللازمة للانفاق على النشاط الديني والثقافي.

ومع ذلك صمدت هذه المؤسسات الدينية، وطرقها الصوفية وواصلت رسالتها الدينية والتربوية، وقدمت خدمات جليلة للفكر والثقافة، والدين، يوم ان لم يكن لها بديل، ووقفت

كالطود الشامخ ضد سياسة الفرنسة، والتنصير والتمسيح، والكثكلة. وكانت الخنجر الذي طعنها الطعنة القاضية والقاتلة.

حالة الطرق الصوفية اليوم :

إن حالة الطرق الصوفية وزواياها اليوم، غير مرضية، ولا تبشر بخير بالنسبة لمستقبلها الديني، والسياسي.

فما تزال متمسكة بالتقاليد والأساليب العتيقة في التعليم والتربية الخلقية الاسلامية، وذلك مما نفر وينفر منها العناصر الشابة بصورة خاصة.

وما تزال تتبع مظاهر الدروشة والخرفات البالية التي لا صلة لها بالدين والثقافة، والسلوك، ولا يستسيغها الناس، وتعيق الفكر عن اليقظة. والتطور والابداع. وهذا مما ينفر الناس ويبعدهم عنها، ويجعلهم لا يتعاونون معها خاصة عناصر الشباب.

ولذلك انحطت سمعتها كثيرا، وتزعزع مركزها الديني والثقافي والاجتماعي، وأصبحت تتعرض بإستمرار، وبصورة تدريجية للموت البطيئ. ونشأ عن ذلك فراغ ديني واسع وخطير انجر عنه تزايد الأمراض والآفات الاجتماعية التي لم يكن للشعب الجزائري عهد بها، والتي مصدرها : الإيديولوجيات الهدامة الحديثة، وأشرطة التلفزة، والفيديو، وكتب الجنس، والسينما المتحللة، والصحافة الرخيصة، والاختلاط اللاأخلاقي، والسياحة الخليعة، وما الى ذلك مما جاءت به الحضارة الغربية المعاصرة.

الخاتمـــة :

إن الطرق الصوفية وزواياها، رغم بعض السلبيات التي استعرضناها، أدت دورا تاريخيا رائدا في الماضي. خاصة أيام المحن الاستعمارية الأوروبية المظلمة. وبدل أن تترك هكذا لتموت وتختفي، ينبغي دعمها، وادخال اصلاحات جذرية على أساليبها التعليمية، والتربوية. وتجنيدها للعمل الدؤوب كما كانت في السابق، لدعم المسيرة الثقافية التي يخوضها الشعب الجزائري المسلم بعد تحرره من ربقة الاستعمار، وقبل ذلك أيضا. وذلك يضمن النجاح الكبير والواسع لمستقبل نهضتنا الثقافية وصحوتنا الاسلامية في إطار المثل العليا للإسلام، ومبادئه السمحة.

إن الشعب الجزائري المؤمن، والمسلم. يعيش اليوم صحوة اسلامية مباركة. ولا بد لهذه الصحوة الاسلامية أن تواكب ركب التنمية الوطنية. وتشارك في محو الأمية ومحاربة الآفات الاجتماعية الخطيرة التي تعم كل مجتمعات العالم الانسانية دون استثناء. ولا بد لهذه الصحوة الاسلامية المباركة أن تكون في مستوى آمال ملايين الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأنفسهم ليبقى الاسلام خالدا في هذه البلاد، وتبقى المساجد بيوت الله عامرة بذكره، وبتلاوة القرآن الكريم. ولتبقى كلمة : الله أكبر، تردد في كل بيت وأسرة ولدى كل فرد في هذه البلاد كما في غيرها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الصحوة الاسلامية التي يعيشها الشعب الجزائري المؤمن، والمتحفز الى الأمام دائما، لا بد أن تقوم على الاستقامة الخلقية والرشد السياسي، والطهارة والنقاوة البدنية والخلقية وترفض الوصاية الأجنبية. ذات الأهداف السياسية المخربة، والتوجيه اللامسؤول. ولا بد أن تلتزم بالاصالة الاسلامية التي سار عليها الرسول عليه الصلاة والسلام، وصحابته الكرام، والتي تنبثق وتنبع من الكتاب والسنة، واجتماع الأمة الاسلامية على مرّ العصور.

وكما انتصر الاسلام على قوى الشر والطغيان في عهد السيطرة الاستعمارية الأوروبية البغيضة فانه سينتصر اليوم، وبعد اليوم على قوى الشر والطغيان، وكل الايديولوجيات المنحرفة، والمتحللة، والمظللة، وعلى كل التوجهات والايحالات السيئة، والمغرضة، وسيخرج الشعب الجزائري المسلم ظافرا منتصرا بحول الله وقوته.

بعض المراجع ذات الصلة بالبحث

- ابن الأعرج (محمد) : تسهيل المطالب بغية الطالب (الجزائر -تلمسان 1961) ص357-403.
- بن بكار (الهاشمي) : كتاب الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب (الجزائر تلمسان 1381هـ/1961م)
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الاسلامية ترجمة فارس 3459 (نبيه آمين) والبعلبكي (منير). (بيروت 1974م)/91ص.
- بوعزيز (يحي) :

أ - ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحداد (الجزائر 1978) 471ص.

ب - الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري. ط3 (تونس -1983) 366ص.

جـ – ثورات الجزائر في القرنين 19و20 (الجزائر قسنطينة –1980) 550ص.
د – كفاح الجزائر من خلال الوثائق (الجزائر –1986) 388ص.
هـ – أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19و20 (برلين –مؤتمر المستشرقين الألمان الواحد والعشرين (26-30 مارس 1980). مجلة الثقافة عدد 63 (الجزائر مايو، يونيو 1981) ص11-28.
و – وهران عبر التاريخ (الجزائر –1985م) 188ص.
– التادلي (أبو يعقوب يوسف ابن الزيات) : التشوق الى رجال التصوف نشر أدولف فور (الرباط –1958) 551ص.
– الجيلاني (عبدالرحمن) : تاريخ الجزائر العام ص3، ط4 (الجزائر –1982).
– الحفناوي (أبو القاسم) : تعريف الخلف برجال السلف (الجزائر –1906) 2أجـ.207+250 ص.
– ابن زكري (محمد السعيد أحمد) : أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل (الجزائر–1913م) 127ص.
– ابن سحنون (أحمد بن علي –الراشدي) : الثغر الجمالي في ابتسام ، الثغر الوهراني (الجزائر–1973)477ص.
– سعد الله (د/أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي .2أجزاء (الجزائر–1981) 598+518ص.
– بن عبدالقادر (مسلم) : أنيس الغريب والمسافر. تحقيق وتقديم بونار (رابح)، (الجزائر –1974)127ص.
– العشماوي (أحمد بن محمد) : السلسلة الوافية والياقوتة الصافية (الجزائر –1961)ص225-326.
– الغبريني (أحمد بن محمد) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. ط2. تحقيق بونار (رابح) (الجزائر –1981)392ص.
– ابن المختار (الطيب) : القول الأعم في بيان أنساب الحشم (الجزائر –1961)ص328-355.
– ابن مريم (محمد بن أحمد) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ط2، (الجزائر –1986)293ص.
– الورتلاني (الحسين) : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية. تحقيق ابن أبي شنب (محمد) (الجزائر –1908)219ص.

– BEL (A) : La Religion Mesulman en Bérbérie Esquise d'Histoire et de Sociolo-gie Religieuse T.I.Etablissement et Developpement de l'Islam en Berbérie du VII au XX Siecle (Paris -1938) 441 P.

– BERQUE (A) : Essai d'une Bibliographie Critique des Confréries Musulmanes Algérien B.S.G.C.(1919) PP.135-174, 193-233 .

– BOUSQUET (E.H) : l'Islam Magrébin à l'Etude Général de l'Islam (Alger - 1955) 243 P.

– COUR (A) : Recherche sur l'Etat des Confréries Religieuses Musulmanes dans les Communes de Oum-El-Bouaghi, Morst, Tebessa, Meskiana, Khenchela, en novembre 1914. R.AF. (Alger-1921) PP. 85-139,29-334.

– DEPONT (A), et COPPOLANI (X) : les Confréries Religieuses Musulmanes (Alger-1847) XXVIII-577P.

– DERMENGHEM (E,) : le Culte des Saint dans l'Islam Maghrébin (Paris-

1913) VIII-505 P.
RINN (Louis) : Marabouts et Khouans. Etude sur l'Islam en Algérie (Alger- –
1884) VII 552 P.
SIMIAN (Marcel) : Les confréries Islamiques en Algérie, Rahmania, Tidjania. –
(Alger-1910) 93 P.

شعر الزهد والتصوف في

أ/سلطاني جيلالي
معهد الحضارة الإسلامية وهران
-الجزائر-

أ - الزهـــــد

يذهب المستشرق كارلونا لينو في كتابه "تاريخ الآداب العربية" الى أن الزهد موضوع من موضوعات الشعر الجاهلي، معتبرا عدي زيد العبادي النصراني من الشعراء الزهاد، إذ يقول فيه : "إن دينه حمله مراراً عديدة على اعتبار زوال أمور الدنيا كلها، وذكر ما هو قريب من الزهد..." وبعد أن يستشهد ببعض شعره، يعلق عليه فيقول : "فظاهر ما في هذا الشعر من مشابهة زهديات بعض الشعراء الاسلاميين لا سيما أبي العتاهية، فليس من البعيد أن شعر عدي بن زيد ومن سلك منهجه من القدماء صارا نموذجا للمتأخرين في وصف فناء الأمور الدنيوية وذكر لعواطف الزهد الناشئة عن اعتباره"(1). ويخالف الدكتور شوقي صيف رأي كارلو في كتابه "التصور والتجديد في الشعر الأموي" فيذهب الى أن الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة، وقد دعا اليه القرآن ودعت اليه السنة النبوية، ولكنه في عهد الفتوح، دخلته عناصر أجنبية كثيرة على رأسها عناصر مسيحية من تلك التي كانت في العراق والشام ومصر، وحركة الرهبنة في المسيحية وما يتصل بها من زهد معروفة، وقد كان لها أثرها في اتساع هذه النزعة، لا في وجودها ولا في نشأتها، ولكن في نموها وازدهارها(2). ويلاحظ أن أهم إقليم انتشرت فيه هذه الموجة هو إقليم العراق، وأنه قد تأثر فيها بعناصر أجنبية، مشيرا الى أن قتادة أحد زهاده نقل عن التوراة كما نقل الشعبي عن عيسى بن مريم، ومرجحاً أن يكون في ذلك اتصال العراق بالرهبنة المسيحية ونظراً لكثرة الحروب في العصر الأموي، وما تجره الحروب دائما من آثار تلجئ الناس الى الزهادة ونظرا كذلك لظلم الحكام والولاة، ومع الظلم يشعر الناس بضرورة التجائهم الى الله ليخلصهم مما هم فيه، والى الدين يستمدون منه الصبر وقوة الاحتمال، ويرى شوقي ضيف أن ذلك من الأسباب التي ساعدت على نشاط حركة الزهد في العصر، مدللاً